إلى الأمة الإسلامية في عامها الجديد

للأستاذ محمد عرفة
أستاذ كلية اللغة العربية

للشعوب أخطاء كما للأفراد أخطاء، وشر هذه الأخطاء ما يقع في القواعد الاجتماعية، إذ الخطأ فيها تكون له نتائج سيئة الأثر تتجرع الأمم غصصها ما دامت فيها هذه الأخطاء

وخير ما يسديه إلى أممهم رجال الاجتماع والعلماء روح الجماعات وطبائع الشعوب أن يصلحوا لهم هذه الأخطاء ليجنبوهم شرورها، ويصلحوهم بإصلاحها. إن لكل خطأ مهما كان أضراره، فالرجل إذا أخطأت الجادة تردى صاحبها في الحفرة أو تعثر بحجر، والمرء إذا أخطأ في تجارته منيت بالبوار، وصاحبها بالخسار؛ وإذا أخطأ في طعامه وشرابه ولباسه فقد الصحة وعاودته الأوجاع والأسقام

هذه أضرار تنشأ عن الأخطاء، وهي وإن كانت شديدة ولكنها لا تبلغ ضرر خطأ الجماعة في قاعدة اجتماعية، لأن الضرر يكون عاماً بقدر ما في هذه الجماعة من عموم دائم بقدر ما في الخطأ من مكث، بالغ في الشدة بقدر ما في الخطأ من انحراف عن الصواب. وإن الأمة الإسلامية لها أخطاء في القواعد الاجتماعية تجني منها الألم والحسرة. وقد رأيت أن أصلح لها خطأ من هذه الأخطاء وأجمل ذلك هدية مني إليها في مستهل هذا العام الجديد. وسأذكر هذا الخطأ وإصلاحه بعد أن أذكر بين يديه مقدمة

إن كل شيء في الكون يتنازع الوجود، والبقاء في هذا التنازع للأقوى، وقد كان الفرد قبل تكون الجماعات ينازع الفرد، ثم التمس أسباب القوة بالاجتماع، وقد أخذ الاجتماع أشكالاً عدة من الأسرة والعشيرة والبطن والقبيلة، وقد كان النزاع بين الأسرة والأسرة والقبيلة والقبيلة نتيجته غلبة الأقوى تبعاً لقانون إنما العزة للكاثر؛ ثم أخذ الاجتماع شكلا أوسع بالمدينة والمملكة فكان أهل كل مملكة يكونون وحدة مستقلة تجلب لنفسها الخير وتدفع عنها الضير، ثم جاء الدين الاسلامي فكون وحدة إسلامية لم تبلغ وحدة من العظم والتجانس ما بلغته هذه الوحدة

عمل الاسلام على غرس المحبة والتضامن بين أجزاء هذه الوحدة فقال: لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

وقال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وقال: ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى

أحب المسلم أخاه المسلم وساد على المملكة الاسلامية المحبة والسلام فتعاونوا على جلب المنافع ودفع المضار

لقد أتت هذه الوحدة بالمعجزة الاجتماعية العظمى فقد كان العرب قبل الاسلام ينتقصون من أطرافهم، وكان من بجوار الشام عمالاً للروم، ومن بجوار الفرس عمالاً للفرس. فلما جاء الاسلام أعز الله به العرب والمسلمين، فلم تمض عشرون سنة من عمره حتى هدد هؤلاء الأقلون المملكتين المتناحتين الفرس والروم وانتقصوهما من أطرافهما، ثم عقب ذلك أن ورث ملك الأكاسرة ومعظم ملك القياصرة

هذه المعجزة الاجتماعية إذا بحث المرء عن سببها وجدها في الوحدة الاسلامية، فقد بدل الاسلام تفرقهم اجتماعاً، وبغضهم حباً، وحربهم سلماً، وبعد أن كان بأسهم بينهم شديداً حول هذا البأس إلى الآخرين، لذلك منّ الله على المسلمين بهذه الألفة (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

(لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)

للغرب طمع في الشرق من قديم، وقد غالبه مرات وهو

يخفق . قامت الحروب الصليبية ، ونزح الغرب على الشرق وهاجمه في عدة من ثغوره وبلدانه ولكنه لم تجده هـذه المحاولة وهذه المهاجمة ، فعاد إلى الحيلة ورأى أنه يستطيع أن يدرك بالحيلة ما عجزت عنه القوة

الغرب عالم واسع العلم لا يسير إلا ومصباح العلم أمامه يهديه السبيل ، ويبصره مواقع أقدامه ، نظر إلى الجسم الاسلامي فرأى أنه ليس يضيره أن يبتر منه عضو من أعضائه . إنما الذي يضيره ويقدره عليـه هو إضعاف روحه ؛ وقد رأى روحـه الوحدة الاسلامية فعمد إليها وسماها تعصباً دينياً ممقوتاً ، وسمى التعاون الديني تعصباً إسلامياً همجياً ، وأسبغ عليه ماشاء من نعوت الذم والوحشية ، فدخل ذلك على الشرق — وهنا وصلنا إلى ما نريده من الخطأ الذي وقعت فيـه الأمة الاسلامية — فآمنت بنظرية الغرب ، وسمتها تعصباً دينياً ، وخجلت من أن توصم بالتعصب الديني ، فتركت هذه الوحدة القدسة ، ونفرت من هذا التعاون الاسلامي ، فلما ضعفت الروح سهل التغلب على الجسم

كان على المسلمين أن يعلموا أنه لا مقاومة في الوجود إلا بوحدة . وقد ظهرت هـذه الوحدة بمظاهر مختلفة منها الوحدة الجنسية ومنها الوحدة الوطنية ، ومنهـا الوحدة الدينية ، وإذا استمسك الغرب بالوحدة الجنسية أو الوطنية لما فيها من الاقتدار على الكفاح في هذه الحياة ، فعلى المسلمين أن يستمسكوا بما صبوا فيه من وحدة إسلامية ليقدروا أيضاً على الكفاح في هذه الحياة

كان على المسلمين أن يعلموا أن التعصب الديني موجود في أمم الغرب التي تعيب المسلمين بالتعصب الديني ، يظهر ذلك في أعمالهم وكثير من نواحي حياتهم ، وأقرب ذلك تطوع بعض الأوربيين والأمريكيين في جيوش الأسبانيين ، والفرنسيين ضد الريفيين المسلمين الذين كانوا يدافعون عن وجودهم ، فلو أن التعاون الديني كان نقيصة كما يزعمون لما نهوا عنه غيرهم وأتوه هم

كان على المسلمين أن يعلموا أن الوحدة الجنسية والوطنية في أوربا قد أتت من الفظائع ما لم تأت بمثله ولا بأقل منه الوحدة الاسلامية في الاسلام ، وآية ذلك معاملة الألمان لليهود ، وتلك الحروب الطاحنة تؤجج نارها العصبيات القومية أو الجنسية . ليس في الوحدة الدينية ما يمكن أن تؤخذ به إلا أنه قد يكون في الوطن الواحد أديان مختلفة؛ والوحدة الدينية ربما عادت بين هذه الوحدات، ولكن الاسلام قد احتاط لذلك ، وأوصى المسلمين بهم وأوجب أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم

حافظ الاسلام على أهل الذمة وذوي العهود والمواثيق من ذوي الأديان المخالفة (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

على الأمم الاسلامية أن تقلع بعد اليوم عن هذا الخطأ وأن تعلم أنها وقعت فيه في بعض تلك الموجات التي تغمر الأمم فتلهيها عن مصالحها ، ولا يخافن أهل الذمة في بلاد المسلمين وذوو العهود مع المسلمين من إحياء الوحـدة الاسلامية فانها تقوى جيرانهم وأهـل عهدهم ولا تصيبهم بأذى لأن الاسلام كما قدمت يوصي بأهل الذمة وبالوفاء بالعهود

محمد عرفة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ أسبوع

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة